



مجمع الفقه الإسلامي الدولي
منتدى الفكر الإسلامي

دعوة إلى كلمة سواء بين المذاهب الإسلامية
محاولة في التقريب والتعاون
بين مذاهب الأمة الإسلامية

المناقشة

محاضرة الأستاذ الدكتور
عبداللطيف الشيخ توفيق الشيرازي الصباغ
أستاذ الإسلاميات في جامعتي دمشق وبنغازي سابقاً
أستاذ الفرق والأديان والمذاهب المعاصرة
في كلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة سابقاً

الثلاثاء في ١٤ ربيع الثاني ١٤٢٨ هـ الموافق ١ مايو ٢٠٠٧ م

الدكتور حسن سفر

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

حقاً إن المحاضرة تُعدُّ من فرائد محاضرات هذا المنتدى، فجزا الله سماحة شيخنا الأمين العام الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة على اختيار هذه الموضوعات، وجزا الله أيضاً أستاذنا الدكتور عبد اللطيف على هذا العطاء الفكري. وأودُّ الإشارة إلى أن الأجيال تفتحت مداركها قبل خمسة عقود ولم تكن تشهد هذه الفرقة المذهبية التي عليها الآن أتباع المذهب، بل كانوا أكثر تحرزاً واحتراماً للمخالفين، وفي ظل ملتقيات بين المذاهب فإن جمهرة من العلماء أبدوا عدم ارتياحهم إزاء حوارات وملتقيات المذاهب الإسلامية في هذا الزمن بل ووصفوها بأنها مؤتمرات مجاملات ومهادنات.

وسؤالي هو:

هل هناك ثمة آليات لدى مفكري ومدرسي علم الأديان تساعد على إيقاف تدهور الخلاف خصوصاً من قبل بعض الفضائيات وضيوفها الذين يؤججون الصراع والبغضاء؟

سيدي: أمتنا تحتاج في غمرة تفاعلها مع الظروف المحيطة بها إلى تجديد أساليب الجمع وإعادة النظر في مسارها الفكري المذهبي بصورة تلائم قرننا الحالي.

وبعد، المحاضرة هي دراسات ونظريات مكثفة حول التقريب بين المذاهب يظهر فيها الرسوخ الفكري والتجديد لأستاذنا المحاضر فشكراً لكم وجزاكم الله ألف خير.

الدكتور عبد الله مناع

بسم الله الرحمن الرحيم، بداية أنا لست شيخاً ولست فقيهاً ولكنني مسلم عربي يتعاطى الصحافة والإعلام.

محاضرة الدكتور محاضرة قيمة وهي قد تحتاج إلى طلبة متخصصين لأكثر من مستمعين عاديين، لكن الجميل في هذا الأمر هو: أن المحاضر تلقى بعض تعليمه في فرنسا بلد الحرية كأوسع ما يكون، الحرية الفكرية، والحرية السياسية، والحرية الاجتماعية. والموضوع الذي جعله محاضرة له موضوع في منتهى الأهمية وفي منتهى الخطورة في هذه المرحلة بالذات من مراحل عمر الأمة العربية والإسلامية. الدعوة إلى كلمة سواء بين المذاهب الإسلامية مطلب إذا لم نكن نحتاجه في أي زمن مضى فإننا نحتاجه الساعة كأحوج ما نكون، لأن هذه الكلمة سواء هي سبيل خروجنا من أزمتنا الراهنة. التتار - كما قال مقدم المحاضرة - الجدد قد عادوا من جديد إلى أرض العروبة والإسلام، في العراق، في فلسطين، في اليمن، في أفغانستان، في الصومال، في السودان، في كل مكان من أراضي الأمة العربية والإسلامية، وبكل أسف أن من دعاهم إلى هذه الأرض لعب على فرقة بين المذاهب فجاءوا يدعون أنهم جاءوا إلى نصره فريق على فريق، كالعراق جاء الأمريكيون لنصرة الشيعة المظلومين والمضطهدين على المسلمين السنة الأقلية الذين حكموهم طوال سنوات القرن العشرين وما بعد الحرب العالمية الأولى والثانية. ثم انقلب الأمر فإذا بالأمريكيين الذين جاءوا لنصرة الشيعة الآن يقاتلون الشيعة ويقاتلون الإسلاميين ويقاتلون السنة حتى إننا لم نعد نعرف ما هي الصورة على حقيقتها. في اعتقادي أن محاضرة كهذه رغم الإطالة التي ما كنت أرجوها ولكن في ختامها تركيز كبير على عناصر الكلمة سواء. في اعتقادي أن محاضرة كهذه كان لابد أن تصل للناس وليس لهذا الجمهور على قيمته المحدودة والصغيرة مهما كان عدد هذه المقاعد، فنحن نحتاج إلى هذه النوعية وأن نبثها بين الناس، وإذا كان الناس في مختلف أنحاء العالم قد تضرر لديهم هذه المذاهب والفرق ضموراً شديداً، ولكنها في هذا البلد تشتعل اشتعالاً شديداً، فهنا بيننا من لا يطيق الشيعة.. أنا أقول نحن الآن أحوج ما نكون إلى دعاة وأساتذة ومحاضرين من أمثال الدكتور الصباغ لا أن يتحدثوا في أمثال هذه المنتديات ضيقة الحضور، ولكن نحتاج إلى نقل هذا الكلام إلى أوسع مدى، وأعتقد أن هناك قنوات فضائية إسلامية قد لا يكون

جمهورها كبيراً ولكن حتى هناك قنوات سياسية تعني بهذا الشأن لأنه يعد شأناً سياسياً بالدرجة الأولى، وهناك مخاطر تواجه هذه الأمة من هذه الفرقة المذهبية، ونحن لما نعي ذلك بل ونذهب في الاتفاق معهم حتى إلى الحد الذي يغري بعض السنة بأن يكونوا في صف التتار ليقاتلوا الشيعة أصحاب النووي في هذا العالم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فضيلة الشيخ عبد الله بن بيه

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أضم صوتي إلى الإخوة الذين أعربوا عن إعجابهم بهذه المحاضرة فإنها محاضرة كثيفة قيمة كانت تأصيلاً رائعاً لخارطة أو لمشهد الخلاف والاختلاف في هذه الأمة، وأيضاً كانت منهجاً رائعاً لمحاولة الاقتراب من هذا الاختلاف. محاضرة جاءت في وقتها كما قال المقدم: أخونا الفاضل الدكتور عادل، جاءت في وقتها لأننا بحاجة في هذا الوقت إلى أن نحاول أن ننشئ عن أسباب هذا الاختلاف الذي طفّ صاعه وبلغ حزامه...

المسألة أعتقد هي مسألة كبيرة وأنا على العكس مما يقال عن التطويل كنت أودّ أن تطول المحاضرة وأن تؤصل فيما بعد في كتاب كبير حول هذا الموضوع لأن من يعرف اتساع الموضوع وترامي أطرافه يرى أنه لا تكفي فيه محاضرة واحدة ولا محاضرتان لأن العناوين التي ساقها المحاضر بجدارة وكفاءة نادرة تحتاج هذه إلى شرح كبير. ولهذا فإنني أودّ منه أن يوسع هذه المحاضرة وهناك أقوال كثيرة يقولها العلماء حول الاختلاف وحول أن هذه الأمة المرحومة كل منها يتاول والله يغفر لها جميعاً كما قال الذهبي، وكما قال أبو حامد الغزالي في كتابه الاقتصاد: إن كل مؤول من هذه الأمة لم يكذب النبي ﷺ وإنما قال: إن اللفظ يقتضي كذا وكذا.

إذن في أوضاع كهذه استحلّت الدماء وتراعى الناس بالتكفير وجهرها بالسوء نحن بحاجة فعلاً إلى توسيع هذا الموضوع ومراجعتة.

اتفق معه في ألا تُكفر المذاهب بإطلاقه وأن نشخص التكفير كما الردة كفر المسلم بصريح أو فعل يقتضيه، ونقول الردة هذه شخصية إذا كفر المسلم بقول صريح أو بفعل واضح جداً يقتضي الكفر نقول: إن هذا كافر لأننا لا نعرف سرائر الناس، والكفر أساساً يتعلق بالسرائر...

مسألة الولاء للكافرين الذي يعتمد عليه بعض الناس لقتل المسلمين قال ابن القيم: الولاء ثمان حالات تُكفر منها حالة واحدة وهي الحالة التي ينضم إليهم بقلبه، الميل القلبي لكفرهم وشركهم، أما بقية الحالات فإما أن تكون جائزة وإما أن تكون معصية.. إلى آخره.

وهو كلام رائع لم أجده لغيره في الحقيقة وينبغي أن يعمم على الناس لأن كثيراً من الناس يرتكبون قتل المسلمين بناءً على ماتأولوه من مسألة الولاء والبراء.

أودّ أن أقول باختصار شديد: إننا أمام ثلاثة أنواع من الاختلاف:

الاختلاف الأول هو اختلاف تخيير، وهو اختلاف في فروع يجوز للمسلم أن يختار منها ما شاء كما قال: أبو عمر بن عبد البر في (الاستذكار): كل هذه الأشياء ثبتت عن النبي ﷺ ونقلها المسلمون تواتراً عن نبيهم ﷺ فهي على التخيير كالتكبير على الجنائز إلى آخره.

واختلاف آخر قد لا يكون التخيير واضحاً، فهو اختلاف بين المذاهب وسماه ابن القيم: (الاختلاف السائغ بين أهل الحق)، فهذا النوع أيضاً من الاختلاف ليس كبيراً في فروع العقيدة، وقد اختلف الصحابة في رؤية النبي ﷺ لله سبحانه وتعالى، وما كفر بعضهم بعضاً ولا بدعه ولا فسقه، واختلاف حتى في أسماء الله الحسنی فيهم من عد تسعاً وتسعين لم يتفقوا على ما هي التسعة والتسعين، ونقول فيهم ما قال الإمام أحمد: (ما عبر الجسر أعلم من إسحاق بن راهوية وإن

كنا نختلف وما زال الناس يختلفون). علينا أن نُعلم الناس هذا الاختلاف الذي لا إنكار فيه.

واختلاف ثالث فيه تأويل ومؤولون، وفي مثل هذا الاختلاف أعتقد أن الاتفاق متعذر، علينا أن ننظم اختلافاتنا، ألا تكون بغياً واقتتالاً، فهنا ننظم الاختلافات كتنظيم القطارات حتى لا يصطدم بعضها ببعض، حتى لا تراق الدماء، فحينئذٍ أعتقد أن هذه الأنواع من الاختلافات إذا وعيناها بإمكاننا أن نتعامل مع الاختلافات القائمة في هذه الأمة. ونسأل الله لنا ولكم التوفيق وشكراً جزيلاً.

فضيلة الدكتور عادل قوته

شكراً لمعالي الشيخ عبد الله بن بيه. قبل أن أترك المجال لراعي هذا الحفل سماحة الوالد محمد الحبيب ابن الخوجة أحب أن أتقدم باقتراح وأرجو أن يتفضل سماحته بتبنيه من خلال المرجعية الأولى العلمية والفكرية وهي مجمع الفقه الإسلامي الدولي. أقترح أن يكون هناك دستور فكري علمي شرعي تتفق عليه هذه المذاهب الإسلامية يكون في نسق مواد محررة يمكن الاجتماع عليها، ولدينا الأعضاء الرسميون الممثلون لكافة الدول الإسلامية، ولو صدر مثل هذا عن مثل هذه المرجعية الأولى في العالم الإسلامي لكان في ذلك خيرٌ كثير. وشكراً لكم.

سماحة الشيخ الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

سوف يكون حديثي خارجاً عن الموضوع لأن ما استمعت إليه بحمد الله كله يصب في الموضوع، فأريد أن أضيف بعض الأشياء التي أعتقد أنها ضرورية وإن كانت ليست من الموضوع في ذاته.

أنا أولاً ينبغي أن أبدأ بشكر جميع الإخوة الذين تعرضوا في هذه الجلسة إلى موضوع بحثنا هذه الليلة سواء عند التقديم أو عند إلقاء المحاضرة أو عند التعليق

عليها، وأريد أيضاً أن أقول: بأن معالي الأستاذ المحاضر هو الذي جاء طالباً منا أن نعين له الوقت والموضوع أو أن نوافق على الموضوع، وهذه خطوة كبيرة وجلييلة لأنه لم يحتج لأن نقول له من فضلك حدثنا عن كذا أو حاضرنا في موضوع كذا بل كان هو المتفضل، ومعنى هذا أن الموضوعات في الواقع عندي كما يقول الشعراء: خواطر يعيشها الإنسان سواء من ذات نفسه أو بالتأثير بما حوله، وبما يقرؤه وبما يسمعه، فالموضوع أخذ عليه جميع تصوراته واتجاهاته وأفكاره واعتبره قضية لا بد منها حتى استطاع أن يطلب الحديث في هذا الموضوع ولا غرابة في ذلك فنحن من ثلاثين سنة تقريباً والحديث عن الخلاف المذهبي بين المسلمين قائم إلا أنني أريد أن أذكر بأن الخلاف بين المذاهب الفقهية الإسلامية والعقدية وغيرها كان أشد منه في السنوات الماضية منه في عصرنا الحاضر، ومعنى هذا أن الخلاف كان علمياً وهو الآن خلاف سياسي أو اتجاه فكري، ومع اختلافاتنا في تحديد الطور الذي مر به هذا الخلاف نجد أن الأستاذ الكريم في حديثه عن هذه المذاهب قد اتجه في الأول اتجاهاً تاريخياً وظننت أنه سينتهي بنا إلى الناحية التاريخية وتعميقها فإذا هو يخرج من ناحية التاريخية إلى ناحية أخرى هي الناحية العقدية الكلامية والفقهية، ومن ثم قد تناول الجانبين: الجانب الذي يشترك فيه جميع الناس، والجانب العلمي الضروري لمعرفة هذه القضايا. وعند ذلك قلت كذب الخراصون الذين يدعون حذف المناهج القديمة في التعليم لأن تلك المناهج هي التي كانت تكشف عن هذه الحقائق.

فهذه المحاضرة لا تحتاج إلى تلخيص لأن التلخيص لا يفي بالحاجة، ولا تحتاج إلى تعليق لأن التعليق لا يمكن أن يتناول جميع النقاط، تحتاج إلى شرح، وقد ذكرتم أنتم الآن في التعليق بأنها تحتاج إلى تيسير للفهم، ومعنى التيسير أنها اشتملت على نقاط كثيرة اصطلاحية لا يعرفها إلا أهل العلم الذين تخرجوا من المدارس التي تخرج منها هؤلاء العلماء، ولكن لما غابت هذه الاتجاهات وانقطعت أصبح الناس يسمعون أو يستمعون لمثل هذه المحاضرة فتثير في نفوسهم إعجاباً وتقديراً ولكنهم لا يستطيعون تجاوز الإعجاب والتقدير إلى أن يفعلوا مثلها أو لأن

يقوموا بدراسات أوسع منها لتكون في متناول الناس. ثم هناك الخلاف الكبير في اللغة القديمة التي كتبت بها هذه البحوث واللغة الجديدة المعاصرة التي تتكلم بها، فإذا كانت اللغة يدور الحديث بها بيننا مقبولة ومفهومة، فإن مثل بعض القطع وبعض المسائل التي وردت في هذه الدراسة هي ليست من الشيء اليسير ولا من الذي يقبل بسهولة لأن الفكر ينبغي أن ينتقل مع هذه العروض الكثيرة التي تحدثت عنها والتي تمثل موقف كل مذهب من هذه المذاهب.

لا أريد أن أطيل عليكم فإن الحديث الجميل الذي استمعنا إليه منكم ومن الإخوة في عرضهم وفي تقديمهم يغنيني عن الحديث، ولهذا أختتم كلمتي بشيء واحد هو الشكر الكبير لكل واحد من حضراتكم على ما قام به ويقوم من استتزال القدرة أو القدرات على الحديث في مثل هذه الموضوعات التي سوف لا نعيش لها كثيراً ولا نقدر أن نتحدث عنها أو نعيدها مرات كثيرة، فكل ما نظفر به في مرة من المرات هو ربح عظيم وخيرٌ كثير وجزاء من الله أكبر، وصل الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم.